140 722

دور حروف العطف

في استنباط الأحكام من مصادرها الشرعية

Adnan Kahveci
ömür Faruk yalçın Kadıköy mer
607939

تأليف الدكتور

وهبة سليم محمد عمر

مدرس أصول الفقه - بكلية الشريعة والقانون

جامعة الأزهر

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار الهدى

للطباعة

شارع الشواربي - السيدة زينب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن بلسان عربي مبين ، سيدنا محمد الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم إلى يوم الدين . . . وبعد .

فإني لما كنت قد عقدت العزم أن أكتب بحثاً في أصول الفقه ، استخرت الله ـ سبحانه وتعالى ـ فهداني ـ جل علاه ـ أن أكتب في : « حروف العطف » . ولما كانت هذه الحروف تدخل في علم أصول الفقه تحت موضوع « حروف المعاني » ، فإنه ينبغي علينا بادىء ذي بدء وقبل الخوض والغوص في : « حروف العطف » أن نبين معنى الحرف ، وموقع حروف المعاني من علم أصول الفقه ، وحاجة علم الأصول لهذه الحروف ، وسبب تسميتها بـ « حروف المعاني » . فأقول وبالله التوفيق :

أولا : معنى الحرف :

للحرف معنى في اللغة وآخر في الاصطلاح .

فمعناه في اللغة : الطرف ، فالحرف من كل شيء طرفه ، وشفيره ، وحده ، وواحد حروف التهجي[1] . وهو الوجه الواحد ، ومن ذلك قول الله تعالى:

---

(١) انظر : مختار الصحاح ص ١٣١ ، ترتيب القاموس المحيط جـ ١ ص ٨٥ .

« ومن الناس من يعبد الله على حرف »[1] . أى على وجه واحد ، فإن وجد ما يحبه استقر وإلا انشمر ، قيل : كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله ، قال : هذا دين صالح . وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله ، قال : هذا دين سوء[2] .

معنى الحرف فى الاصطلاح : لو نظرنا إلى الحرف نجد أنه قسم من أقسام الكلام العربى ، وأقسام الكلام العربى هى :

الاسم ، والفعل ، والحرف .

١ — فالاسم : ما دل على معنى فى نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة (الماضى ، والمضارع ، والأمر) .

٢ — والفعل : ما دل على معنى فى نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة[3].

٣ — أما الحرف : فهو ما دل على معنى فى غيره[4] ، أى أن الحرف لا يستقل بالمفهومية ، أى بمفهومية المعنى منه . فهو يدل على معنى فى غيره ، أى لا فى نفسه ، والضمير فى « غيره » إما عائد إلى اللفظ بمعنى أنه لا يدل بنفسه بل بانضمام لفظ آخر إليه ، وإما أن يعود الضمير إلى المعنى ، بمعنى

(١) الآية : ١١ من سورة الحج .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٠٩ .
(٣) انظر : الحدود فى النحو للرمانى ص ٣٨ ، التعريفات للجرجانى ص ١٩ ، ١٤٧ الإحكام للآمدى جـ ١ ص ٢١ ، ٨٣ .
(٤) انظر : الحدود فى النحو للرمانى ص ٣٨ ، التعريفات للجرجانى ص ٧٦ ، الإحكام للآمدى جـ ١ ص ٨٥ ، حاشية السيد الجرجانى على شرح العضد جـ ١ ص ١٨٥ .

أنه غير تام فى نفسه ، أى لا يحصل من اللفظ إلا بانضمام شىء آخر إليه ، فصار الحاصل أنه لا يستقل بالمفهومية أى بمفهومية المعنى منه[1] .

يقول إمام الحرمين[2] : « والحروف صلات بين الأسماء والأفعال »[3].

ثانياً : موقع حروف المعانى من علم أصول الفقه :

بالنظر إلى ألفاظ اللغة العربية نجد فيها الحقيقة والمجاز . فالحقيقة : اسم لما أريد به ما وضع له ، فعيلة من حق الشىء إذا ثبت بمعنى فاعلة أى حقيق ، والتاء فيه للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما فى العلامة لا للتأنيث ، وفى الاصطلاح : هى الكلمة المستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب[4] . فإطلاق لفظ الأسد على الحيوان المفترس حقيقة ، لأنه استعمل فى المعنى الأصلى الموضوع له لفظ الأسد .

والمجاز : اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما ، وهو مفعل بمعنى فاعل من جاز إذا تعدى كالمولى بمعنى الوالى سمى به لأنه متعد من الحقيقة

(١) انظر : حاشية الجرجانى على شرح العضد جـ ١ ص ١٨٥ .
(٢) هو : أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى الملقب بإمام الحرمين . من كبار علماء الشافعية ، ولد فى جوين من نواحى نيسابور (٤١٩ هـ) وتوفى سنة (٤٧٨ هـ) من مؤلفاته « البرهان » فى أصول الفقه .
انظر : الوفيات جـ ١ ص ٢٨٧ ، طبقات الشافعية ص ٦١ .
(٣) انظر : البرهان لإمام الحرمين جـ ١ ص ١٧٩ فقرة ٨٩ . وفى المخصص لابن سيده جـ ١٤ ص حروف المعانى : هى الحروف التى تربط الأسماء بالأفعال والأسماء بالأسماء .
(٤) انظر : التعريفات للجرجانى ص ٨٩-٨٠ ، الإحكام للآمدى جـ ١ ص ٣٦ .

إلى المجاز[1] . وذلك كإطلاق لفظ أسد على الرجل الشجاع فإنه مجاز ، لأنه استعمل فى غير معناه الأصلى للعلاقة بين الأسد والرجل الشجاع وهى : الجرأة .

والمجاز كما يتحقق فى الأسماء والأفعال يتحقق كذلك فى الحروف ، فإنها تنقسم إلى حقيقة ومجاز ، فمن الحروف ما يستعمل فى معناه الأصلى الموضوع له فيكون حقيقة ، وقد يستعمل الحرف فى غير ما وضع له ، أى بمعنى حرف آخر فيكون مجازاً ، فمثلا : الحرف « فى » إن كان بمعنى الظرفية يكون الاستعمال حقيقة ، وذلك مثل قوله تعالى : « أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »[2] وإن كان بمعنى « على » يكون الاستعمال مجازاً ، وذلك مثل قوله تعالى : « ولأصلبنكم فى جذوع النخل »[3] . كل هذا يقتضى من المستنبط للأحكام الشرعية والمستدل عليها أن يعرف المعانى الحقيقية التى وضعت للحروف ، وكذلك المعانى المجازية ، لأن كثيراً من مسائل الفقه تترتب على ذلك . ولذلك رأينا بعض الأصوليين يذكرون حروف المعانى ونحوها بعد الحقيقة والمجاز ، لأنها - وكما قلنا - تارة تستعمل فيما وضعت له فتكون حقيقة ، وتارة تستعمل فى غيره فتكون مجازاً ، وبعض مسائل الفقه مبنى عليها[4] .

---

(١) انظر : التعريفات ص ١٧٨ ، الإحكام للآمدى جـ ١ ص ٤٧ .

(٢) الآية : ٨١ من سورة البقرة .

(٣) الآية : ٧١ من سورة طه .

(٤) انظر : المعتمد لأبى الحسين البصرى جـ ١ ص ٣١ ، التلويح للتفتازانى جـ ١ ص ٩٨ ، كشف الأسرار للنسفى ، ونور الأنوار عليه جـ ١ ص ١٨٩ ، التقرير والتحبير جـ ٢ ص ٣٩ ، تسهيل الوصول للمحلاوى ص ٩٥ .

ثالثاً : حاجة علم الأصول لهذه الحروف :

لو نظرنا إلى الحروف نجد أنها من مباحث علم النحو ، ولكن جرت عادة الأصوليين أن يبحثوا عن بعض أحوال الحروف تتميما للفائدة للاحتياج إليها فى بعض المسائل الفقهية[1] . فالأصوليون دققوا فى فهم أشياء من كلام العرب لم يصل إليها النحاة ولا اللغويون . فإن كلام العرب متسع جدا والنظر فيه متشعب . فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة دون المعانى الدقيقة التى تحتاج إلى نظر الأصولى واستقراء زائد على استقراء اللغوى .

ومن أمثلة ذلك : دلالة صيغة (أفعل) على الوجوب و (لا تفعل) على التحريم ، وكون كل وأخواتها للعموم ، وما أشبه ذلك لو فتشنا فى كتب اللغة لم نجد فيها شفاء لذلك ولا تعرضا لما ذكره الأصوليون ، وكذلك كتب النحو لو طلبت معنى الاستثناء ، وأن الإخراج هل هو قبل الحكم أو بعد الحكم ؟ ونحو ذلك من الدقائق التى تعرض لها الأصوليون وأخذوها باستقراء خاص من كلام العرب ، وأدلة خاصة لا تقتضيها صناعة النحو . فهذا ونحوه مما تكفل به أصول الفقه . حقيقة لا ينكر أحد أن لأصول الفقه استمداد من علمى اللغة والنحو ، ولكن تلك الأشياء التى استمدها منهما ومن غيرهما تذكر فيه بالذات بل بالعرض[2] .

---

(١) انظر : التنقيح لصدر الشريعة والتلويح للتفتازانى جـ ١ ص ٨٩ ، شرح الجلال المحلى على جميع الجوامع جـ ١ ص ٣٣٥ ، التقرير والتحبير جـ ٢ ص ٣٩ ، تيسير التحرير جـ ٢ ص ٦٣ .

(٢) انظر : الإبهاج فى شرح المنهاج للسبكى وابنه جـ ١ ص ٧ - ٨ تحقيق د شعبان محمد إسماعيل .

ولو رجعنا إلى حاجة علم أصول الفقه لحروف المعانى نجد أن حروف المعانى من الأهمية بمكان لأصول الفقه ، لأن أكثر الكلام العربى يتوقف على معرفة معناه ، ثم الاستفادة منه على معرفة معانى الحروف والأدوات التى تربط بين الأسماء والأفعال . وبالمثال يتضح المقال :

يقول الله ـ سبحانه وتعالى : « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها يشاءون كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون »[1] .

ويقول رسولنا محمد ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة ـ رضى الله عنه : « لن ينجى أحداً منكم عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته ، فسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا ، وشىء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا » .

وفى رواية السيدة عائشة ـ رضى الله عنها : « سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم بعمله الجنة ، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل » ، وفى رواية لها أخرى : « سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل أحد الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة »[2] .

---

(١) الآيات : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ من سورة النحل .

(٢) انظر : صحيح البخارى جـ ٨ ص ٨٣ كتاب الرقاق ط . الفجالة الجديدة ١٣٧٦ هـ .

لو نظرنا إلى ظاهر هذين النصين ـ القرآن والسنة ـ لوجدناهما متعارضين ، فالنص القرآنى ظاهره أن المؤمن يدخل الجنة بعمله . والسنة ظاهرها أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله وإنما بفضل الله حتى أكرم الخلق سيدنا محمد ﷺ .

ولإزالة هذا التعارض والتوفيق بين هذين النصين أقول : إن « الباء » فى الآية الكريمة المقابلة[1] ، وليست للسببية . فالله سبحانه وتعالى يقابلنا على الطاعات القليلة اليسيرة بالخير والنعيم الكثير فى جنة عرضها السموات والأرض ، ونعيم الجنة لا ينتهى فليس له حدود ، وعلى ذلك فدخولنا الجنة ، لا يكون بسبب أعمالنا وإنما بفضل الله ورحمته . أما « الباء » فى الحديث الشريف فهى للسببية ، وعلى ذلك فمعناها : لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله ورحمته وليس بسبب عمله . ومن أمثلة باء السببية قوله تعالى : « فكلا أخذنا بذنبه »[2] وقوله : « فأخذهم الله بذنوبهم »[3] وقوله أيضاً : « فأهلكناهم بذنوبهم »[4] فمعنى ذلك كله بسبب[5] .

وعلى ذلك فحروف المعانى تشتد الحاجة إليها ، لأن كثيراً من مسائل الفقه ينبنى عليها ، ولذلك يقول السيوطى[6] فى كتابه : الإتقان فى علوم القرآن :

---

(١) انظر : رصف المبانى للمالقى ص ١٤٦ .

(٢) الآية : ٤٠ من سورة العنكبوت .

(٣) الآية : ١١ من سورة آل عمران .

(٤) الآية : ٥٢ من سورة الأنفال .

(٥) انظر : رصف المبانى للمالقى ص ١٤٤ .

(٦) السيوطى : هو : الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر